فهذا بيان انتظام هذا الدليل من هذه الآية .

وقد آل الدليل بهذا الوجه إلى الاستدلال عليهم بمعجزة القرآن والأمية . ولكلمة (تلوته) هنا من الوقع ما ليس لغيرها لأنها تتضمن تاليا كلاما ومتلوا وباعثا بذلك المتلوا .

فبالأول تشير إلى معجزة المقدرة على تلاوة الكتاب مع تحقق الأمية لأن أسلوب الكتب الدينية غير الأسلوب الذي عرفه العرب من شعرائهم وخطبائهم .

وبالثاني تشير إلى القرآن الذي هو معجزة دالة على صدق الآتي به لما فيه من الحقائق والإرشاد الديني الذي هو من شأن أنبياء الأديان وعلمائها كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) . سلوب وبالثالث تشير إلى أنه كلام من عند ا تعالى فانتظمت بهذا الاستدلال دلالة صدق النبي A في رسالته عن ا تعالى .

والتلاوة : قراءة المكتوب أو استعراض المحفوظ فهي مشعرة بإبلاغ كلام من غير المبلغ . وقد تقدمت عند قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) في سورة البقرة وعند قوله (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) في سورة الأنفال .

و (أدراكم) عرفكم . وفعل الدراية إذا تعلق بذات يتعدى إليها بنفسه تارة وبالباء أيضا يقال : دريته ودريت به . وقد جاء في هذه الآية على الاستعمال الثاني وهو الأكثر في حكاية سيبويه .

شاء لو أي (عليكم تلوته ما) على عطفا النفي بحرف (به أدراكم ولا) الجمهور قرأ A E ا ما أمرني بتلاوة القرآن عليكم ولا أعلمكم ا به . وقرأه البزي عن ابن كثير في إحدى روايتين عنه بلام ابتداء في موضع لا النافية أي بدون ألف بعد اللام فتكون عطفا على جواب (لو) فتكون اللام لاما زائدة للتوكيد كشأنها في جواب (لو) . والمعنى عليه : لو شاء ا ما تلوته عليكم ولو شاء لجعلكم تدرون معانيه فلا تكذبوا .

وتفريع جملة (فقد لبثت فيكم) تفريع دليل الجملة الشرطية وملازمتها لطرفيها .

والعمر : الحياة . اشتق من العمران لأن مدة الحياة يعمر بها الحي العالم الدنيوي . ويطلق العمر على المدة الطويلة التي لو عاش المرء مقدارها لكان قد أخذ حظه من البقاء . وهذا هو المراد هنا بدليل تنكير (عمرا) وليس المراد لبثت مدة عمري لأن عمره لم ينته بل المراد مدة قدرها قدر عمر متعارف أي بقدر مدة عمر أحد من الناس . والمعنى لبثت فيكم أربعين سنة قبل نزول القرآن .

وانتصب (عمرا) على النيابة عن ظرف الزمان لأنه أريد به مقدار من الزمان .

واللبث : الإقامة في المكان مدة . وتقدم في قوله تعالى (قال كم لبثت) في سورة البقرة .

والظرفية في قوله (فيكم) على معنى في جماعتكم أي بينكم .

و (قبل) و (بعد) إذا أضيفا للذوات كان المراد بعض أحوال الذات مما يدل عليه المقام أي من قبل نزوله . وضمير (قبله) عائد إلى القرآن .

وتفريع جملة (أفلا تعقلون) على جملة الشرط وما تفرع عليها تفريع للإنكار والتعجب على نهوض الدليل عليهم إذ قد ظهر من حالهم ما يجعلهم كمن لا يعقل . ولذلك اختير لفظ (تعقلون) لأن العقل هو أول درجات الإدراك . ومفعول (تعقلون) إما محذوف لدلالة الكلام السابق عليه . والتقدير أفلا تعقلون أن مثل هذا الحال من الجمع بين الأمية والإتيان بهذا الكتاب البديع في بلاغته ومعانيه لا يكون إلا حال من أفاض ا عليه رسالته إذ لا يتأتى مثله في العادة لأحد ولا يتأتى ما يقاربه إلا بعد مدارسة العلماء ومطالعة الكتب السالفة ومناظرة العلماء ومحاورة أهل البلاغة من الخطباء والشعراء زمنا طويلا وعمرا مديدا فكيف تأتى ما هو أعظم من ذلك المعتاد دفعة لمن قضى عمره بينهم في بلاده يرقبون أحواله صباح مساء وما عرف بلدهم بمزاولة العلوم ولا كان فيهم من أهل الكتاب إلا من عكف على العبادة وانقطع عن معاشرة الناس .

وإما أن ينزل (تعقلون) منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول أي أفلا تكونون عاقلين أي فتعرفوا أن مثل هذا الحال لا يكون إلا من وحي ا .

(فمن أظلم ممن افترى على ا كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون)